بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 64 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:13\12\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

التحقيق أن يقال أنه لا يوجد منافاة بين الآيات التي دلت على كون القرآن الكريم بلسان عربي مبين وبين وجود بعض الكلمات الأعجمية بالأصل في القرآن الكريم.

وهذا مع قطع النظر عن البحث الصغروي، فيمكن أن يقع خلاف في بعض المفردات أنها فعلاً أعجمية في الأصل أو عربية الأصل.

فعلى تقدير ورود مفردات في القرآن الكريم لم يكن أصلها عربياً لا يتنافى ذلك مع كون القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

بيان ذلك من خلال الالتفات إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى: أنه في زمن نزول القرآن الكريم أثير هذا الموضوع، أي في القرن الأول للهجرة أثير عدم عربية بعض المفردات، وبينت سابقاً أنه ممن اختار ذلك ابن عباس وجماعة من الصحابة، وتوقفوا عند بعض الكلمات أن هذه ليست مستعملة في لغة العرب الأصليين الذين نزل القرآن على لسانهم.

القرآن الكريم عندما نزل نزل في بيئة كانت منفتحة على سائر الأمم والشعوب، فالعرب كان لديهم رحلة الشتاء والصيف، الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام، والشتم آن ذاك لم تكن عربية، كانت تقع تحت حكم الرومان. وكثير من البلاد التي يقطنها القبائل العربية كانت تتنازعها امبراطوريتين عظيمتين آنذاك الروم والفرس، حتى بعض القبائل العربية كان لديها أحلاف، فالمناذرة كانوا مع الفرس وهم من العرب، والغساسنة كانوا مع الروم وهم من العرب.

الحاصل أنه في بيئة نزول القرآن الكريم كان هناك تداخل بين الشعوب التي تتكلم بألسنة مختلفة، بل كان بعض أتباع الأديان السماوية من العرب يعيشون في الجزيرة العربية كيهود المدينة المنورة، الغساسنة كانوا من النصارى. ولا شك ولا ريب أن الدين من أكثر العوامل التي تؤثر على اللغة.

شاهد على ذلك من اللغة الفارسية، فاللغة الفارسية يكاد أن لا تخلو جملة مفيدة تامة من مفردة عربية، والذي أثّر في هذا الشيء هو العامل الديني؛ باعتبار أن الفرس دخلوا في الدين الإسلامي فتأثروا باللغة العربية.

فبيئة القرآن لم تكن بيئة مغلقة، بل كانت مخالطة لسائر الأمم والشعوب، كما يظهر من ذلك عندما هاجر جمع من المسلمين إلى الحبشة، لا أن الحبشة لم تكن معروفة أو لم يسمعوا عنها، فالحبشة كانت معروفة لدى العرب، لذلك لحق وفد من قريش بهؤلاء لكي يقنعوا ملك الحبشة بتسليمهم لهم، فكانت توجد معرفة وحشر ونشر بين الحبشة، والحبشة لم تكن لغتهم العربية.

إذاً هذا الواقع كان موجوداً في الجزيرة العربية، وفي بيئة نزول القرآن الكريم.

النقطة الثانية: ترتبط بتحرير محل النزاع

جميع العلماء -بلا استثناء- سواء الذين يقولون بجواز وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن والذين يقولون بعدم جوازه، الجميع اتفق على أن الأعلام الشخصية الأعجمية وقعت في القرآن الكريم، والشاهد على ذلك أن النحاة يقولون أن تلك الأعلام مثل إبراهيم الواقعة في القرآن الكريم وكلمات العرب تمنع من الصرف للعلمية والعجمة.

إذاً الأعلام الشخصية العجمية بلا شك واقعة في القرآن الكريم، من دون تردد من أحد.

فهل يتنافى ذلك مع كون القرآن الكريم قد أُنزل بلسان عربي مبين؟ أبداً، فالجميع متفق على ذلك.

هذا نظير لو أردنا أن نصف ما يحصل في مدينة غزة والإجرام الكبير الذي يصدر من نتن ياهو، فجئنا بكلام فصيح بليغ ولكن سمينا الرجل نتن ياهو، فلا يعترض أحد بأن هذا الكلام ليس بعربي فيبقى بأجمعه عربياً؛ إذ هذا اسمه هكذا.

وكذلك أسماء الأمكنة، بشكل عام هذه إذا وقعت في كلام عربي لا تضر بعربيته، بل يبقى بأجمع كلام عربي.

النقطة الثالثة: أن اللغة العربية لعلها من أكثر اللغات مرونة في الاشتقاق، لذا تلاحظ في الدراسات الأدبية قسموا الاشتقاق إلى الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر والاشتقاق الكبير والاشتقاق الكبّار الذي يرجع إلى النحت في اللغة العربية.

فاللغة العربية من أكثر اللغات مرونة في الاشتقاق، وكان العرب قديماً وحديثاً يعربوا الكلمات الأعجمية ويتعاملوا معها معاملة اللغة العربية. وهذا في قرآن الكريم بالنسبة للأعلام الشخصية بلا إشكال واقع، والتعريب عندهم بتغيير حرف أو حذف حرف أو إضافة حرف أو تغيير اللفظ وما شابه ذلك.

فإبراهيم الواقع في القرآن الكريم يختلف عن اسمه في اللغة الكلدانية ليس اختلافاً جوهرياً، عمدة الألفاظ موجودة، لكن عربت هذه الكلمة. بل اللغة العربية لها مرونة بعد التعريب في اشتقاق الفعل واسم الفاعل واسم المفعول وما شابه ذلك.

ينقل -بعضهم ينقله عن سيبويه- أن شخصاً من شيراز ذهب إلى بلاد العرب واستقر فيها، واتقن اللغة العربية بحيث أنه في حله وترحاله لا يوجد أحد يدرك بأنه هجين على اللغة العربية، فخطب ابنة زعيم القبيلة فزوجوه -مع الملاحظة أن العرب آنذاك عندهم عار أن يزوجوا بناتهم من شخص غير عربي- ففي يوم من الأيام قال لزوجته: اقتلي السراج. فخافت وذهب لوالدها إذ لا يوجد في لغة العرب لا حقيقة ولا مجازاً ذلك، فاجتمعت القبيلة فأجابهم أن ذلك لغة عندهم، فأصروا عليه بشاهد من الشعر، فقال:

إن الأناجير قد ساهت بعد أن سبزت واشرورنت بعد أن كانت تراشيشا

فجاء بكلمات فارسية أعجمية واشتق منها أن ذلك، فالأناجير يعني جمع أنگور على صيغة جمع عربي أفاعيل، ساهت من سياه يعني أسود فاشتق منها فعلاً، سبزت بعد أن كانت خضراء، واشرورنت احلوت من شيرين، بعد أن كانت تراشيشا يعني ترش، فصدقوه.

هذا وإن كان يذكر للفكاهة، لكن في الواقع يدل على أن اللغة العربية لغة ذات مرونة، قد لا توجد في كثير من اللغات. وهذا الشائع فيما بيننا الآن، أن نشتق من كلمات هي بالأصل نقطع بأنها ليست عربية، وتصبح شائعة ومتعارفة، ولا أحد يعترض بأنها ليست عربية.

النقطة الرابعة: حينئذ نفهم أن عربية الكلام لا تعتمد على مجرد المفردات لا غير، بل عربية الكلام ترتبط بالأسلوب، الأسلوب العربي يختلف عن كثير من أساليب اللغات.

مثلاً: تقدم الصفة على الموصوف في بعض اللغات، ففي كثير من اللغات هو الأصل، بينما في اللغة العربية الصفة تابع والتابع لا يتقدم على المتبوع. ومسألة التذكير والتأنيث بالطريقة الموجودة في اللغة العربية، هذا الأسلوب العربي هو الذي يكتسب الكلام العربية.

فباعتقادي كما أن استعمال الأعلام الشخصية لا يضر بعربية الكلام، فاستعمال مفردات كانت بالأصل أعجمية وعرّبها العرب وشاعت بينهم، فيصدق حينئذ على هذا النبي صلى الله عليه وآله أنه جاء بكتاب بلسان قومه، فلا يضر ذلك بكون القرآن عربياً.

هذا كله على تقدير ورود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم. نعم قد نختلف مع القوم في بعض المصاديق وفي بعض الصغريات التي ذكروا بأنها أعجمية، فقد لا نوافق على بعض المصاديق وقد نوافق بعضها، فهذا يصبح بحثه التفصيلي بحسب المفردات الواردة في الآيات.

أما كبروياً المسألة ليست محل إشكال.

هذا الأمر في اللغات الأجنبية موجود، وأوضح شيء في اللغة الفارسية بالنسبة لنا، ليس فقط في الأعلام الشخصية، بل في كثير من الموارد لا يقال إن هذا لا يتكلم لغة فارسية.

نعم نسلم مع مثل الشافعي وابن جرير الطبري على نحو الموجبة الجزئية، أنه من الممكن أن تكون بعض الكلمات من باب توارد اللغات، خصوصاً بعض الكلمات التي ربما تكون من مقتضيات الطبع، مثل كلمة أخ عند الألم، ربما موجودة عند كثير من الشعوب بنفس التعبير؛ لأن هذا الصوت عادة يكون من مقتضيات الطبع.